تدريس اللغة الإنجليزية كلغة تبشير

الستير بني كوك Alastair Pennycook
صوفي كوتاند- مارين Sophie Coutand-Marin
جامعة سيدني التكنولوجية، استراليا

ترجمة

محمد راجي الزغول / قسم اللغة الإنجليزية
جامعة اليرموك / اربد / الأردن

الملخص :

في محاولتها مسح الكم الحالي الهائل لمشروع تدريس اللغة الإنجليزية كلغة للتبشير، تثير هذه الورقة مسائل ذات شأن عن حجم هذا العمل وعن السياسة الحضارية له، وعن مسائل تتعلق بالثقة والبواح، وعن الدعم الضمني لتحقيق أهداف الانتشار العالمي للانجليزية. نبحث هنا ردود الفعل على هذا العمل، من الجانب المسيحي التبشيري والمسيحي الخدمي إلى الجانب الليبرالي المحايد والإنساني العلماني والبداغوجي النقدي، ونبين هنا أننا ما لم تدخل في حوار حول المشاريع الأخلاقية المرتبطة بتدريس اللغة الإنجليزية فلن يتمكن التربويون من تحديد أسس وقواعد اختيارنا بين المشاريع التبشيرية من جهة أو الليبرالية أو النقدية من الجهة الأخرى.

"دروس لتعليم اللغة الإنجليزية بالمجان"، كتبت هذه العبارة على قصاصات من الورق دفعت إلى أيدي عدد مختار من المارة في زاوية أحد شوارع المدينة. "إن مشاركتك لقدراتك للتحدث باللغة الإنجليزية وقراءتها يمكن أن يكونا عملاً كهنوتياً"، يعلن منشورٌ خبأ في قاع حقيبة مؤتمر من أحد المؤتمرات العالمية لمدرسي اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها. أمّا في موقع لمنظمة تبشيريه تسمى نفسها "الخدمة في البعثة التبشيرية" (Serving in Mission) على الإنترنت فالنداء يقول: "تقديم دروس في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية يمكن أن يكون طريقاً استراتيجياً لثُري حب المسيح، ويمكن أن يفتح أبواباً لمشاركة الرأي عن المسيح مع عددٍ كبير يمكن أن لا يستجيبوا بالعادة للطرق التقليدية للحركة التبشيرية". على أحد طرفي هذه المعادلة، هناك عرض دروس تعليم اللغة الإنجليزية بالمجان لإغراء المارة من غير الناطقين بالإنجليزية للالتحاق بالدروس التبشيرية للغة الإنجليزية. أمّا في الطرف الآخر فهناك دعوة للمدرسين ليشاركوا معرفتهم باللغة الإنجليزية مع غيرهم لجعلها وسيطاً كهنوتياً للفقراء، أو لاستخدام دروسها وسيلة للوصول إلى غير المؤمنين. وكل هؤلاء مرتبط برغبة لاستخدام انتشار الانجليزية عالمياً لتوسيع انتشار المسيحية، وكل هؤلاء يرون أن تدريس اللغة الإنجليزية موقع شرعي مناسب للعمل التبشيري.

وحتى هذا اليوم، ما زال هناك سكوتاً عالمياً هائلاً حيال هذه الارتباطات، لدرجة أن المروجين للغة الإنجليزية للأغراض التبشيرية تداعوا للمناداة إلى حوار (طالع Tennant 2002). ومن القلائل الذين تحدثوا عن هذه القضايا كان جوليان اج (Julian Edge, 1996) الذي حاول أن يوضح في رساله له إلى مجلة تيسول ماترز (TESOL Matters): أن تبوأ المسئوليات التربوية بتظاهر كاذب لأمر يبعث على النفور الشديد، وقد كان الأمر واضحاً لـ إج (Edge) إذ أن موقفه يتلخص في أن علينا كمدرسين أن نقيد أهداف تدريسنا بتيسير الأغراض الحياتية لطلبتنا" ويمضي إج (Edge) ليبرهن بأن الاتهامات المتعلقة بالأمبريالية اللغوية والامبريالية الثقافية مبررة وبخاصة عندما توجه إلى "أناس ينخرطون بشكل مكشوف في عملية تدريس الإنجليزية لغير الناطقين بها بنية تصدير موازينهم الأخلاقية / والدينية لما يتبقى من المعمورة (23 :1996). ولا نعني أبداً أن نقول هنا أن لا مكان للمسيحيين في مجال تدريس اللغة الإنجليزية. فنحن نقول مرحباً للمسيحيين – أو المسلمين أو اليهود أو البوذيين أو أي من الديانات الأخرى – طالما أنهم أتوا بمجموعة من القيم الأخلاقية والروحية لنقاشها في ميدان تدريس اللغة الإنجليزية الذي اتصف بالربحية والتجارية والعقلانية. ما يهمنا في بعض أشكال النشاط التبشيري أنها بحد علمنا، تنمو بمعدل عالٍ. فأمامنا الآن مجموعة من الآراء والممارسات الماكرة لا بد للعاملين في مجال تعليم الإنجليزية من الوعي بها.

إن مجال تدريس اللغة الإنجليزية مشروع سياسي. وفي حين أن الأنظمة التعليمية في مختلف دول العالم تقدم توجيهات صارمة لما تعتبره مقبولاً أو غير مقبول في الصفوف الدراسية... وبعض هذه الدول تشجع بقوة الجانب العلماني وبعضها الآخر يميل إلى تشجيع المحتوى الديني... لكن مناطق تدريس اللغة الإنجليزية خارج أنظمة التعليم الحكومية والتي تشكل بها جزءاً من المنهاج يصعب ضبطها، وينتج عن ذلك تحكم قليل بما يدرس بها. وقد أدت عوامل أهمها التحول الجديد في العلاقات العالمية وما صاحبه من صعود هائج لولايات متحدة أميركية بالغة المحافظة والرأسمالية والمسيحية (يدعمها حلفاء ناطقون باللغة الإنجليزية في حروبها ضد الدول الإسلامية)، والصخب العالمي الزائد الذي يلف الإنجليزية ودورها المتغير عالمياً... أدت هذه العوامل إلى مجموعة جديدة من العلاقات المقلقة بين تدريس اللغة الإنجليزية والنشاط المسيحي التبشيري. وفي حين أنه يمكن أن نرى في ذلك مجرد تعزيز للمشروع التبشيري الاستعماري، فإننا سنحاول في هذه المقالة أن نبين أن ضراوة العمل التبشيري وممارساته ورسالة أشكال تدريس الإنجليزية للأغراض التبشيرية قد أخرجت إلى السطح مسائل هامة يجب أن تخاطبها جماعة تدريس اللغة الإنجليزية والمربون بشكل واسع، وأهم هذه الشئون:

١. **كثافة هذا العمل وحجمه**: فقد وجدنا عشرات المواقع على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) لها علاقة مباشرة بتدريس الانجليزية لغة للتبشير.

٢. **السياسة الثقافية التي تصاحب هذا التدريس**: ففي حين أن التعليم يتضمن نوعاً من السياسة، نجد أن هناك علاقة خاصة بين تدريس الانجليزية كلغة للتبشير من جهة والعمل السياسي العالمي من الجهة الأخرى.

٣. **مسألة الثقة والبواح**: لا شك في أنها استراتيجية مركزية أن تجد مدخلاً للطلبة من خلال مجال تدريس اللغة الإنجليزية ثم تستخدم عندئذ هذه العلاقة لنشر المسيحية.

٤. **والمسألة الرابعة هي الطريقة التي يساند بها تدريس اللغة الإنجليزية** كلغة تبشير بشكل ضمني الانتشار العالمي للغة الإنجليزية ويضع ذلك فوق الامكانات الأخرى.

في هذا الجزء من المقالة، سنستعرض بشكل مختصر طبيعة هذه الأنشطة والمسائل ذات الاهتمام اعتماداً على تحاليل نقدية لمواقع على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت)، وكذلك اعتماداً على منشورات ومصادر أخرى.

هنالك عدة ردود فعل لهذه الأنشطة المسيحية في صفوف اللغة الإنجليزية:

أولها، ولعدد من الناس، أنها انشطة حقه يجب دعمها: ذلك لأن الرسالة المسيحية رسالة صادقة وذلك لأنه كلما ازداد عدد الناس الذين يمكن تخليصهم بالطرق الصحيحة أو الملتوية، كلما كان ذلك من الأفضل. وسندعو ذلك بالموقف المسيحي التبشيري الإنجيلي.

ثانياً، أمّا للمسيحيين الآخرين، وبينما تبقى الرسالة المسيحية ذاتها لا تتغير، يتعاظم الهم الاخلاقي للشئون المتعلقة بالطرق الصحيحة أو الملتوية لتحويل الناس عن دينهم إلى المسيحية، ويقود كل ذلك إلى التأكيد على الخدمة وتفضيلها على هداية الفرد لاعتناق المسيحية (طالع Snow, 2001)، وسندعو هذا الموقف بالموقف الخدمي المسيحي.

ثالثاً، ان النقص في الحوار حول هذه الشئون يوحي بأن عدداً كبيراً من التربويين لا يرى في هذا الموضوع شرعية للنقاش: إذ أن ما يدور في صفوف اللغة الإنجليزية لا يشكل شأناً عاماً، وإن أي افتراضات أيديولوجية بهذا الشأن تتساوى مع غيرها. وسندعو هذا بالموقف التحرري اللاأدري (مشتق من لا أدري).

رابعاً، أما لبعض التربويين المهتمين من أمثال إج (Edge) المشار إليه سابقاً، فإن استخدام تدريس الإنجليزية لأي غرض كان غير تحسين الأحوال الحياتية لهؤلاء الطلبة كما يرونها هم، منفر جداً. وسندعو هذا الموقف بالموقف الإنساني العلماني.

خامساً وأخيراً، تبقى الصفوف الدراسية، لعدد آخر من التربويين، بشكل حتمي مواقع ثقافية وسياسية، وتبقى المعضلة كامنة في كيفية تفضيل برنامج عمل على غيره. سنسمي هذا الموقف بالموقف البداجوجي (علم أصول التدريس) الناقد. وسنبحث المعضلات التي تشكلها هذه المواقف المختلفة في الجزء الثاني من هذه المقالة حيث نرغب في أن نبين الحاجة لبدء حوار حول المشاريع الأخلاقية المرتبطة بمجال تدريس اللغة الإنجليزية، وذلك على أقل تقدير.

ميدان تدريس اللغة الإنجليزية: منجم ذهب غني بفرص التبشير:

بالطبع، فلميدان تدريس اللغة الإنجليزية والنشاط التبشيري المسيحي ارتباط طويل الأمد. فبينما كان أحد تكتيكات المشروع التبشيري كما تقوم بها منظمات مثل المعهد الصفي للغويات (Summer Institute of Linguistics)، تعلّم واستخدام وترجمة الإنجيل إلى اللغات المحلية، قام جناح آخر للمشروع المسيحي التبشيري ببناء تحالف تدريس اللغة الإنجليزية والعمل التبشيري. وليس ذلك بالمستهجن، فقد كانت الإنجليزية والمسيحية، بالنسبة لكتاب القرن التاسع عشر أمرين مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً لا يمكن محوه، يقول الباحث ريد ((Read). Baily 1991:116) مقتبس في Read (1849:48) ان الإنجليزية لم تكن " لغة الآداب والعلوم والتجارة والحضارة والحرية الدينية وحسب بل كانت "مستودع المعرفة التي تُدخل أية أمة في حضيرة الحضارة والدين المسيحي، فقد أضحت الإنجليزية الآن وبشكل فاعل لغة الإنجيل". فقد تم النظر إلى اللغة الإنجليزية من جهة على أنها بجوهرها لغة مسيحية.. "لغة الإنجيل" وأن تعلمها من جهة اخرى يقرب الناس من الله. وبالفعل فإن الاحتفاء المسيحي بالانتشار العالمي للغة الإنجليزية يبدو وكأنه يعمل كحل ممكن لخطيئة بابل (التعدد اللغوي). أمّا من الجهة الأخرى فقد أصبحت اللغة الإنجليزية هي الطُّعم الذي يغوي الطلبة إلى المدارس والصفوف التبشيرية.

وبسبب كثافة تدريس اللغة الإنجليزية لأغراض التبشير فإننا نرى أن هذا الموضوع جدير بالاهتمام من جماعة التربية بشكلها الموسع. فقد كشفت عمليات البحث التي أجريناها عن عدد هائل من الشبكات المترابطة لتنظيمات تبشيرية تستخدم اللغة الإنجليزية أداة هامة. يقدم الموقع المسمى مشن فايندر MissionFinder.Org "فرصاً تبشيرية مسيحية لتدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، ويقوم هذا الموقع أيضاً بتزويد مستخدم الشبكة العنكبوتية بمراكز وصل بعدد كبير من المنظمات. تشمل عينة مختصرة منها المواقع التالية:

١. سي بي أنترناشونال CB International وتعلن عن وظائف في ميدان تدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك أوروبا الشرقية والبرتغال واسبانيا ومدغشقر. عنوانها (http://www.cbi.org/).

٢. أديوكيشنال رسورسز اند رفيرالز Educational Resources & Referrals (ERRC) (المصادر التعليمية والإحالات) ومقرها الصين. يعلن هذا الموقع "أنه يتوافر هناك أكثر من مئة فرصة لمدرسين ومستشارين من خلال هذه المنظمة في أكثر من ٤٠ جامعة ومعهد بحث في المدن الرئيسية بالصين" عنوانها: (http://www.errchina.com/)

٣. أديوكيشنال سيرفيسز أنترناشنال (ESI) (الخدمات التربوية العالمية): وتحث الناس على "تدريس اللغة الإنجليزية في الخارج في آسيا المسلمة والصين وروسيا ووسط أوروبا. تتوفر لديها فرص الآن في مصر وتركيا والمغرب وكزاغستان وأوزبكستان وكرغزستان وجمهورية الشيك والمجر وروسيا وأوكرانيا". عنوانها (http://www.teachoverseas.org/).

٤. فرونيترز Frontiers (الجبهات): "استخدم تدريس الإنجليزية كلغة ثانية في المساعدة في تأسيس الكنائس بين المسلمين الذين لم يصلهم أحد. إعمل مع المسلمين في واحد من ٣٨ قطراً من أقطار العالم في آسيا والعالم العربي وأفريقيا كجزء من فريق لتأسيس الكنائس". عنوانها (http://www.frontiers.org/).

٥. انسرفس Inservice: والتي لديها "شواغر في عدد من الدول الآسيوية" تعلن بأنها جمعية ملتزمة في خدمة الكنيسة المسيحية وترغب بالمساهمة مباشرة أو بشكل غير مباشر في تكوين حواريين ليسوع المسيح، وبشكل خاص في بلدان جنوب ووسط آسيا وفي الخليج العربي والشرق الأوسط وشمالي أفريقيا وفي بلدان أخرى يتواجد بها جماعات مهاجرين من هذه البلدان". ومنظمة انسرفس هذه عضو بالتحالف العالمي الإنجيلي World Evangelical Alliance عنوانها: (http://www.inservice.org/).

٦.كهنوتية المراكز الإنجليزية في اليابان The Japan English Centers Ministry: تعلن هذه المؤسسة أن أولئك الذين يحصلون على عمل في حقل تدريس اللغة الإنجليزية من خلالها سيلحقون في كنيسة محلية محددة وسيتولون مسئولية تدريس اللغة الإنجليزية والدراسات الإنجيلية باللغة الإنجليزية، وسيدلي كل منهم بشهادته – اعترافه- في أوقات الكنيسة وأوقات الجناز فيها وكذلك عليهم الانخراط في أنشطة تكميلية وذلك لتحصيل أكبر قدر ممكن من التأثير لضبط وتنظيم اليابانيين في الكنيسة المحلية. عنوانها: (http://www.i-chubu.ne.jp/~i4785/jindex.htm).

٧.تيم Team: وهي "منظمة تبشيرية واسعة، تستخدم تعليم اللغة الإنجليزية جزءاً من جهود تأسيس الكنائس في بلدان متعددة. عنوانها: (http://www.teamworld.org/opportunities/inde.html).

٨.فجن انترناشنال الآينس Vision International Alliance (VIA) (تحالف الرؤيا العالمية): وهي منظمة "تستخدم حقل التربية لتعليم العالم من أجل المسيح. وتقدم هذه المنظمة للناس" الفرصة لتدريس الإنجليزية لسنة واحدة على الأقل في اليابان وكوريا الجنوبية والصين. كذلك فإنها تقدم للعاملين بها التدريب وعوائد سخية: يعمل المدرسون مع قادة الكنيسة المحلية وتتوفر لهم الفرص للتفاعل مع الطلبة خارج الصفوف... لدينا حاجة ماسة لرجالٍ ونساء متجذرين في الديانة المسيحية وذلك لتدريس الإنجليزية للمرشحين للتبشير في كوريا الجنوبية". عنوانها: (http://www.viamission.org/teach).

وحسب ما أورده تنانت (Tenant, 2002) فإن فهرس الجمعية المسيحية لمدرسي اللغة الإنجليزية للناطقين باللغات الأخرى (تلك الجماعات التي لديها أكبر عدد من الوظائف التدريسية) تشمل: معهد اللغة الإنجليزية / الصين English Language Institute / China "والذي أرسل ٥٠٠ مدرس لغة انجليزية هذا الصيف وما يقارب من ٤٠٠ مدرس في مهمات تعليمية لمدة عام دراسي. ويشمل الفهرس أيضاً مجلس التبشير العالمي لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين Southern Baptist Conventions International Mission Board "والذي لديه ما ينوف على ٥٠٠ شخص يدرسون الإنجليزية حول العالم"، وكذلك يشمل الفهرس منظمة الخدمات التربوية العالمية Education Services International "والتي لديها ١٥٠-٢٠٠ مدرس لغة إنجليزية في برنامجها الذي يمتد لعام واحد و ١٠٠ مدرس في برنامجها الصيفي". وفي "وصفه لما سمي دون أي حساسية بمخيمات اللغة الإنجليزية الإنجيلية" والتي تديرها منظمة "الرسل العالمية" (IM)، يؤكد تنانت (Tennant, 2002) نجاح مثل هذه المنظمات حين يقول: "لقد أصبح عشرة على الأقل من أصدقائي مسيحيين، وفي الثمانية مخيمات التي حضرتها شهدت حوالي خمسين حالة تحول للمسيحية، إذ يعطي كل مخيم سبع إلى ثماني حالات من التحول إلى المسيحية. ويبدي عشرين إلى خمس وعشرون رغبتهم في الانخراط بالدراسات الإنجيلية. وجميعهم تتابعهم الكنيسة المحلية والعاملين في منظمة الرسل العالميون (International Messengers)".

من النقاط الرئيسية التي نريد أن نوجه إليها الاهتمام هي سعة انتشار تدريس الإنجليزية كلغة للتبشير والجرأة بل الغيرة التي يناقش بها المدرسون المبشرون ومنظماتهم أعمالهم التبشيرية. إذ أن تدريس الإنجليزية يُستخدم الآن في جميع أنحاء العالم "كجزء من جهود تأسيس الكنيسة في البلدان المختلفة". وبالرغم من أن أسماء هذه المنظمات وفي حالات كثيرة لا تنقل بشفافية أهدافها التبشيرية، فإن مواقع هذه المنظمات على الانترنت صريحة وواضحة ومكشوفة باستعدادها لاستخدام حقل تدريس اللغة الإنجليزية للأغراض التبشيرية. تقول إحدى هذه المنظمات في تقديم برنامجها:

"بإدراكهم للطلب المتصاعد على معرفة اللغة الإنجليزية، فقد اكتشف العاملون في منظمة كريستن أوت ريش أنترناشيونال (Christian Outreach International) (المنظمة المسيحية العالمية الممتدة) منجم ذهبٍ غنياً بفرص التبشير... وكلما وثق بك الطلبة كمدرس لغة إنجليزية لهم فإن الباب قد فتح لتشاركهم معتقدك والإنجيل، وفي كل فصل دراسي، تتعرف العديد من الأرواح الضائعة على الرب".

من البارز هنا أن هذه المنظمة لا تبدي قلقاً من النظر إلى التصاعد في الطلب على اللغة الإنجليزية "كمنجم ذهب ثري بالفرص التبشيرية". كما لا يبدو أن مسألة كسب ثقة الطلبة من أجل التبشير بالانجيل مثار تساؤلات أخلاقية ذات علاقة في البداغوجيا. ووفق شهادات المبشرين، فإن دروس اللغة الإنجليزية من أكثر الطرق فعالية لاجتذاب الناس. بالفعل، فلقد أصبح استخدام مجال تعليم اللغة الإنجليزية، لعدد من المنظمات، طريقة واضحة نحو العمل التبشيري. يقول ودوارد (Woodward, 1993: 2) في مقالته بعنوان "تدريس اللغة الإنجليزية أداة للإنجيلية" في ألمانيا:

"نستطيع القول الجزم أننا قمنا بالاتصال بأعداد أكبر من غير المؤمنين عن طريق دروس الإنجليزية، أكثر من أي طريق آخر. لقد قمنا بحلقات دراسية لتعليم الكبار، واجتماعات انجيلية تبشيرية وأعمال للأطفال، ومجموعات الترانيم الكنيسة، ومواد المراسلات الإنجيلية والمخيمات، ولقد باركهم الله جميعاً. لكن لم تستهو الألماني أي من هذه الانشطة أفضل مما استهوته الدروس الإنجليزية التي قدمناها".

ويدعم تنانت (Tenant, 2002) هذا الرأي، خاصة عند قوله "قم ببناء كنيسة تبشيرية في بولندا ولن يأتِ أحد، لكن قم ببناء مدرسة لتعليم الإنجليزية فستكوّن عدداً من الأصدقاء". وتمضي منظمة أخرى، وهي منظمة فجن انترناشيونال الاينس (VIA) (تحالف الرؤيا العالمية) ببيان أهمية تدريس الإنجليزية في الخارج بهذه العبارات:

"إن مدرسي اللغة الإنجليزية لسيف ذو حدين في ميدان التبشير وذلك لتعاظم الطلب عليهم من جهة ولقدرتهم على التحرك من الجهة الأخرى. فالطلب على مدرسي اللغة الإنجليزية الناطقين بها قوي جداً في مختلف أنحاء العالم، لا لتدريس مواطني الدول الأخرى فحسب بل لأن عدداً كبيراً من الطلبة يرغبون في مصادقة معلميهم الأميركيين. ويمكّن هذا الطلب المتزايد على معلمي اللغة الإنجليزية هؤلاء المدرسين من دخول بلدان مغلقة في وجه المسيحيين. وتسمح لهؤلاء المدرسين بالتفاعل مع السكان المحليين ليشهدوا حب المسيح من خلال طريقة الحياة الإنجيلية التبشيرية!!".

هناك بلدان عدة لا تمنح المبشرين تأشيرات دخول، وفي هذه الحالة يتقدم المبشرون بطلبات للحصول على "تأشيرات معونات" وتحت عنوان "مدرسو لغة إنجليزية (دياموند Diamond, 1998). يقول رك لف (Rick Love) وهو المدير العالمي لمنظمة فرنتيرز (Frontiers) التي ورد ذكرها وهي أكثر جماعة مسيحية انتشاراً في العالم وتركز جهودها بشكل كامل على التبشير بين المسلمين كجزء من "حملة صليبية خفية" كما يقول يومان (Yeoman, 2002b) للقضاء تماماً على الإسلام (يعلن موقعهم على الانترنت بشكل مثير للدهشة: "لماذا نحن نحب المسلمين") يقول رك لف (Rick Love) من الضروري للعاملين كمبشرين في الدول الإسلامية أن يخفوا هوياتهم، وعلى المبشرين الانجيليين أن يكون لديهم دائماً حجة غير دينية جاهزة لتفسير تواجدهم في البلدان الإسلامية. وقد حصل رك لف (Rick Love) على مؤهل كمدرس للغة الإنجليزية قبل ذهابه إلى أندونيسيا ويقول بعد ذلك: "أستطيع الآن أن أنظر إلى أحدهم عيناً لعين وأقول: أنا مدرس لغة انجليزية ولدي مؤهل وأنا هنا لأدرس". يمضي رك لف (Rick Love) ليقول بأنه حالما تُطور الثقة فإنه قد آن الأوان لك أن تكسب مؤمنين جدد. ولكن على هؤلاء المدرسين أن يكونوا حريصين أن لا يكشفوا أهدافهم الحقيقية قبل الأوان. وتثير هذه النظرة، كما سنبين لاحقاً، التساؤل عن شئون حقيقية عن النوايا المخفية بما يتعلق بالخطط المستقبلية، ومواضيع الثقة والبوح وكذلك المخاوف الناتجة عن الطرق التي من خلالها يصبح الاعتقاد المطلق بأحقية شخص معين إلغاء الإمكانات المتوفرة للانخراط البيداغوجي ذو المعنى الواضح. وقبل الخوض في هذه الأمور الهامة لا بد من ذكر

شيء عن تحضير معلم اللغة الإنجليزية كلغة للتبشير وعن العلاقات بين تدريس اللغة الانجليزية كلغة للتبشير من جهة واشكال العمل السياسي من الجهة الأخرى.

لن تستطيع أن تتعلم السباحة من الأسماك:

ومن الأمور ذات الأهمية بمكان هو أمر نقص مؤهلات مدرسي اللغة الإنجليزية التبشيريين. يبين تنانت (Tennant 2002) أن الجدل الدائر حول المؤهلات أكثر حدة من ذاك الدائر حول الحركة الإنجيلية التبشيرية" وهذا بالطبع جزء من مشكلة أعمق وأوسع في ميدان تدريس اللغة الإنجليزية: ألا وهي انتشار ظاهرة المدرسين غير المدربين، وتعيين الناطقين في الإنجليزية وذلك بتفضيلهم على المدرسين ثنائي اللغة. لقد حاول حقل تدريس اللغة الإنجليزية وبنجاح ضئيل أن يقاوم تعيين مدرسي اللغة الإنجليزية (وهم بالعادة لا يحملون مؤهلات، ومع ذلك فإن رواتبهم أعلى بكثير من رواتب نظرائهم المحليين) على الأساس الوحيد هو قدراتهم كناطقين بالإنجليزية لغة أم. وعندما يقدم التبشيريون دروساً انجليزية بالمجان وعندما ترسل الكنائس مدرسي لغة انجليزية غير مدربين فإن مشكلاتهم تتفاقم يوماً بعد يوم. ففي دراسة مسحية وجد الباحثان دكرسون ودو (Dickerson and Dow, 1979)، أنه في حين أن عدداً من المنظمات التبشيرية لم تطلب أي مؤهل للعمل في التدريس فإن عدداً قليلاً جداً لم يطلب إلا أدنى حد من المؤهلات والتدريب. وقد عبر التربويون المسيحيون من أمثال توم سكوفل (Tom Scovel).. كما أورد تنانت (Tennant, 2002) عن قلقهم من الأهمية الزائدة المعطاة للجانب التبشيري على حساب الجانب التربوي، وكذلك التركيز على أهمية قدرات الناطقين بالإنجليزية لغة أم على حساب جانب المعلمين المدربين، مبرهناً ذلك بمقولة "أنك لا تتعلم السباحة من الأسماك". وبالرغم من النقص المستمر في التدريب فإن عدداً من المؤسسات اخذت تقدم الآن تدريباً لمدرّسي اللغة الإنجليزية للأغراض التبشيرية. وتشمل هذه المؤسسات جامعة وليم كيري العالمية (William Carey International University) وكنج وكولج (The King College) وجامعة أزوسا باسيفيك (Azusa Pacific University APU) وكلية ويتن (Wheaton College). وتكلف دورة تدريبية لمدة تسعة شهور في اللغة الإنجليزية للأغراض التبشيرية تقدمها كنجز كولج (King's College) ما يقارب الخمسة عشر ألف دولار أمريكي (The Kings College, 2002). أمّا في جامعة أزوسا باسيفيك (APU) الوارد ذكرها فإن برنامج تدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها موجه خصيصاً ليربط بين تدريس اللغة الإنجليزية والعمل التبشيري. يقول موقع APU على الانترنت في وصفه لبرنامجه (برنامج تدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها):

> يهدف برنامج جامعة أزوسا باسيفيك APU إلى مزج الخدمة جنباً إلى جنب مع التحضير التربوي". يقول رشارد روبنسون (Richard Robinson) مدير برنامج تدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها: "إن ما يهمنا في المقام الأول هو أننا ندرب مدرسين محترفين مخلصين مؤهلين للغة الإنجليزية". إن قلب الهيئة التدريسية في البرنامج مهيأ للتبشير. نأتي هنا لهذا العمل وشأننا تدريس المبشرين وتحضير المدرسين". يتعلم الطلبة خلال دراستهم الحاجات اللغوية، والفوارق اللغوية والاجتماعية ومتطلبات أخرى يمكن أن يصادفوها في حقل التعليم (http://www.apu.edu/infocus/2001/01/tesol/).

يحمل مساق "مبادئ وطرق تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية (TEFL)" في معهد التدريب في المقارنة بين الحضارات (Institute of Cross Cultural Training) في مركز بلي جراهام (Billy Graham Center) التابع لكلية ويتن (Wheaton College) في ولاية الينوي هدفاً أساسياً يتلخص في "اعطاءك المعرفة والمهارة الضروريتين لتدريس اللغة الإنجليزية لغة أجنبية للأغراض الكهنوتية" (Wheaton College, 2002). وإلى جانب بعض المساقات التقليدية في برامج تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، يحتوي البرنامج مساقات مثل "استخدام الإنجيل في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، وكذلك يحتوي على مساقات مثل التواصل الحضاري الذي "سيساعدك في اكتساب فهم أعمق لما يعني حين يقال "أن تنقل الانجيل إلى حضارة أخرى". يبدو واضحاً أن هذه البرامج يعطي مدرسي اللغة الإنجليزية التبشيريين تدريباً يشتمل على أكثر من مجرد العمل التبشيري. هذا من جانب، أمّا من الجانب الآخر، فإن القاعدة الإنجيلية التبشيرية لمناهج تدريس اللغة الانجليزية تقدم مادة ضئيلة لهؤلاء المدرسين المتدربين تصلح لأن يتفكروا بها في عملهم المهني.

عندما يكون الناس فقراء، يُسلب الربّ من المسرة: انجيل الرفاهية

إن كانت رسائل المبشرين هذه لكسب الثقة تثير تساؤلات أخلاقية جادة فكذلك هي الحال بالنسبة للأيديولوجيات التي تصاحب العمل الإنجيلي المسيحي التبشيري المحافظ. وبالطبع فإن العمل التبشيري كان وما يزال شريكاً بالجريمة بأهدافه السياسية والاقتصادية الأوسع، يبين دياموند (Diamond, 1989: 205):

"منذ بدأ اتباع المسيح الأوائل يتلمذون الامم"، كان العمل التبشيري وما يزال مشروعاً سياسياً. فلم يكن من الممكن أن ينجز إخضاع الأوروبيين لأمريكا اللاتينية وأفريقيا بدون البعثات التبشيرية التي كانت دائماً جاهزة لإضفاء الشرعية وتخفيف مرارة الخضوع للاستعمار.

لقد استخدمت كلمة الله، عبر التاريخ اليهودي المسيحي وفي غالب الأحيان في قولبة مفهوم أن المصالح الخاصة لمجموعة ما تفيد الإنسانية جمعاء" (Lawrence 1995: 107). وعلى مدى قرون طويلة كانت الرسالة المسيحية تنادي بقبول إرادة الله وتأجيل السعادة الدنيوية طمعاً في حياة أفضل في الآخرة، وهو خطاب لا يعني في جوهره أكثر من حِجاج بأن على الفقراء أن يقبلوا بقدرهم بكل خضوع. وفي استجابتها لتطور وجهة النظر المسيحية التي تستخدم بشكل أكبر تحليلات اللامساواة المبنية على الماركسية – والتي بدت واضحة في علم اللاهوت التحرري أو "ثيولوجيا التحرير" في أمريكا الجنوبية وبخاصة في أعمال التربويين من أمثال باولو فريير (Paolo Freire, 1970) الذي شجع الفقراء على أخذ أقدارهم بأيديهم وإعلان العصيان على مضطهديهم – فقد برزت حجة مناهضة في داخل اليمين المسيحي تركز على شرعية الثروة وتراكم رأس المال: انجيل الرفاهية. يبين هاينز (Haynes, 1996: 226) أن هذه العقيدة التي يروج لها الأميركيون كان لها هدف تضعه في الدرجة الأولى "وقد تعمد أن لا يكون له شأن روحي: ترويج ومتابعة أهداف السياسة الخارجية المعادية للشيوعية". ولم يقلل سقوط الشيوعية من شأن هذا الهدف: بل على العكس من ذلك فقد قدم تبريرات مقدسة لشرعية العقيدة الرأسمالية المسيحية.

ويمكن تلخيص "إنجيل الرفاهية" الذي تبشر به أكثر البعثات التبشيرية نشاطاً بالعبارات التالية:

حسب الأفكار التي ترتبط بفكرة "إنجيل الرفاهية" من الطبيعي والمناسب -وصحيح بل بالفعل أنها إرادة الله- بأن أولئك الذين يستحقون هم وحدهم يتمتعون بالسعادة الدنيوية. وما الفقر والمرض والصحة الرديئة والمصائب الأخرى إلا علائم على الخطيئة ونقص الالتزام المسيحي الصادق وإشارة من الله بأنه عليم بضعف الفرد. ويتبع ذلك وضمن هذا الخط للتفكير بأن أكثر المسيحيين تقوى هم الأكثر ثراء، وأن منظر الواعظ المليونير يوجه عظته إلى رعية تنعم بالرفاهية ما هي إلا تبرير مادي لمثل هذه المعتقدات (Haynes 1996: 225).

ولا يقوم رسل "إنجيل الرفاهية" بتبرير الهيمنة الأميركية الليبرالية الحديثة فحسب بل إنهم يشجعون القبول السلبي للكوارث والمصائب وغياب المسئولية الاجتماعية والتي تقود إلى غياب أي التزام نحو التطوير(Haynes 1996:226). وربما لا يبدو هذا تشعباً من انجيل القبول أو انجيل الخنوع لكنه في أيدي المبشرين الإنجيليين المحافظين تصبح كلمة الله متحالفة عن كثب مع قوى العولمة الحالية لدى أيديولوجيته الليبراليين الجدد (طالع (Hardt and Negri, 2000). ويسمى هاينز (Haynes 1996: 224) هذه الممارسة "آخر وجه للاستعمار" الذي لم يهدف إلى نهب الموارد الطبيعية بل لتحريف التكتل السياسي والتعبئة وإبعادها عن البحث عن التغيير البنيوي للمجتمع والاقتصاد، وذلك لتبقى هذه البلدان في خدمة المصالح الاستراتيجية الأميركية أو/و خدمة الأهداف المالية للشركات الأميركية العابرة للحدود.

ويمكن لإنجيل الرفاهية أن يوجد كجزء من الخلفية الأيديولوجية لعدد من المنظمات التبشيرية. وتعطى منظمة بليفرز (Believers.Org) العيّنة التالية لما يُنادى به:

- عندما يكون الناس فقراء يُسلب الرب من المسره.
- لماذا أصبح يسوع المسيح فقيراً؟ لا ليضرب مثلاً بل لتصبح أنت ثرياً. لقد دُفع الثمن.

- للكثير من الناس حاجات مالية وهي أكثر من أي نوع آخر من الحاجات.

- لقد تحدث يسوع عن المال اكثر مما تحدث عن الجنة و/أو النار.

- بدون الوعظ بالإنجيل، لا تستطيع أن تتوقع أن يؤمن الناس بأي موضوع. وهذه هي الحال الآن بمقولة أن "إرادة الله هي الرفاهية". وبدلاً من الرفاهية، فقد تم الوعظ بالأكذوبة المعاكسة: يجب أن تكون فقيراً حتى تُرضي الرب وتكون تقياً.

- ليس من المستغرب أن أعداداً كبيرة من المسيحيين لا تؤمن بأن إرادة الله هي رفاهيتهم. فلم تزرع فيهم بدور الرفاهية. والقليلون الذين تمكنوا من زرعها يتم إغراءهم لإجتثاثها وذلك لكثرة الوعظ السلبي في هذا الموضوع.

- وكلما اعترفنا بها كلما آمن بها جسد المسيح. وكلما آمنا بها أكثر فسنتلقى بركات الرب أكثر. وكلما ازدادت رفاهيتنا، كلما تمكنا من مساعدة الناس وكلما ازداد رضا الرب (Believers. Org, 2001).

◆ وكما يوضح هاينز (Haynes 1996: 225) فإنه عندما تروج مثل هذه الأفكار كجزء من اللاهوت المسيحي على أيدي المبشرين الأجانب والذين هم أثرى بشكل واضح من الذين يسعون لتحويلهم عن دينهم إلى الدين المسيحي، يصبح المبشرون أنفسهم تجسيداً لقيم مادية عليا وهي بذاتها تشكل "تبريراً مادياً لمثل هذه المعتقدات". وكما ينمي بورديو (Bourdieu, 1991) فإن قوة اللغة تُستمد إلى حد بعيد من القوة الاجتماعية للمتكلم، وعليه، فإنه بينما يوحي التناول الخدمي للعمل التبشيري بأن التدريس الجيد للغة والعيش حياة مسيحية جيدة يعطيان مصداقية لكلمات أي شخص، فإن مقولة الرفاهية الإنجيلية توحي بأن المساهمة في الرأسمالية العالمية هي التي تظهر طريقة الحياة المسيحية بوضوح. وعلى افتراض أن اللغة الإنجليزية تروج في كثير من الأحيان كلغة تجلب المكاسب المادية، فإننا نستطيع أن نرى هنا تحالفاً غير مقدس بين اللغة الإنجليزية ورأس المال والمسيحية.

◆ وفي اتباعها خطاً قوياً للوعظ في السياسة الليبرالية الجديدة، فإن عدداً من المنظمات الإنجيلية تسلك خطاً قوياً موازياً في الدعوة إلى الإذعان السياسي. يحذرنا التلفزيون المسيحي (Online 2002) لأن "نوقف الثورة" لأن يسوع سيعود يوماً ويطيح بجميع اولئك الذين يبقون عُصاة لهذا الحكم. فوقف الثورة أو العصيان يسمح للخطائين السابقين لأن يجدوا "حرية حقيقية". وتؤكد هذه العقيدة مبدأ الإذعان ليس لسلطة الرب فحسب بل لسلطة حكومة الدولة. وكما يفصل أحد الكتاب:

> إن الرب مسئول عن كل حكومة على وجه الأرض. يقول بولس "ليس هناك قوة إلا بالله وما القوة الموجودة إلا بأمره" (Rom. 13:1). وعليه، فإنه إذا ارادت الكنيسة أن تشغل نفسها وتحاول تغيير مسار الحكومات الدنيوية بوسائل دنيوية، ألا تكون بهذا قد ثارت ضد الواحد الأحد الذي رسم هذه الحكومات؟... أنا ممتن للرب لامتياز العيش في الولايات المتحدة الأميركية وأنا أخدم يسوع. لقد أنعم الله على هذه الأرض بالحريات التي تحسدنا عليها جميع الأمم الأخرى. هذه الحريات التي يجب النظر إليها على أنها قادمة من الله وحده ويبقيها الله وعندما تأخذ هذه الحريات فالله وحده هو الذي يأخذها (Pioneertract, 2002).

ولا شك في أن لدى عدد من المنظمات المسيحية الإنجيلية في الولايات المتحدة علاقات طويلة الأمد مع أجنحة أخرى في الدولة. فقد عدد ديامند (Diamond, 1989) ارتباطات عديدة بين المنظمات التبشيرية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمركية (CIA). ورغم تصريح للوكالة في عام ١٩٧٦ بأنها ستوقف التعاون المباشر بين البعثات التشيرية والوكالة، إلا أن وكالة الاستخبارات تستمر بتعاملها مع المنظمات التبشيرية من خلال وكالة الإنماء الدولي التابعة لوزارة الخارجية الأميركية. ففي عام ١٩٨٣ قام الرئيس المكسيكي ميغل دي لا مدريد Migued de la Madril بطرد مجموعة تبشيرية (WBT/SIL) (تمولها وكالة الإنماء الدولي التابعة لوزارة الخارجية الأميركية) وذلك بسبب فضيحة تتعلق بقاموس ثنائي اللغة بين اللغة الإسبانية من جهة ولغة محلية اسمها تزوتزل (Tzotzil / Spainsh) من جهة أخرى، أعدته هذه المجموعة (Diamond, 1989). قامت هذه المجموعة (WBT/SIL) بحذف جميع الكلمات من اللغة الإسبانية

واللغة المحلية الأصلية التي تعبر عن مفاهيم من الممكن أن تهدد الأوضاع الحالية في المكسيك مثل الطبقة الاجتماعية، والجماعة، وينتصر على، والاستغلال، وديكتاتوري، والاضطهاد، والقمع، والثورة، والثوري، والعصيان وكلها كلمات لها ما يساويها في اللغة الأم. وبالإضافة إلى ذلك قامت هذه المجموعة (WBT/SIL) بإدخال عدد من الكلمات "كلمات في سياق أيديولوجي محرف" كالأمثلة التالية:

- **الحق**: للرجل الحق في معاقبة أبنائه عندما لا يتصرفون جيداً.
- **يكافح**: أنا أكافح لإكمال هذا العمل في الحال.
- **الرئيس في العمل**: الرئيس جيد. يعاملنا جيداً ويدفع لنا أجوراً جيدة (Diamond 1989: 219).

والمسألة المهمة هنا هي أن الولايات المتحدة الأميركية تبتعد أكثر فأكثر عن فصلها المفترض بين الكنيسة والدولة، وعوضاً عن ذلك فهي تتبنى العقيدة المسيحية الأصولية اليمينية كجزء من سياستها الداخلية والخارجية. وفي هذا الوضع فقد أصبح دور المبشرين المسيحيين مرتبطاً ارتباطاً عضوياً مع الترويج لصيغة معينة من المال أو الدين أو السياسة، وتصبح السياسة الخارجية للولايات المتحدة مربوطة برؤيا معينة للتوسع المسيحي. وكما يرى هارت ونجري (Hardt and Negri, 2000:148) في نقاشهم للأشكال الجديدة للأمبراطورية، فإن إدعاءات الأصوليين المسيحيين في ترويج "القيم العائلية التقليدية" لم ترتكز على أي ماضٍ حقيقي، بل على "اختراع جديد يشكل جزءاً من المشروع السياسي المناهض للنظام الاجتماعي المعاصر. ولا أوضح من هذا أكثر مما هي الحال مع صاحب البيت الأبيض الحالي: "جورج و. بوش رجل يسعى وراء قلب الرب بنفسه. إنه رجل يعيش في المسيح، ويطيع الرب... نعتقد أن جورج و. بوش هدية رحيمة من الرب لأناس لا يستحقونها. ندعوك لتنضم إلينا في صلوات مستمرة من أجل رئيسنا، وعائلته، وإدارته وبلده. صلوات دائمة... صلوات لحوحة... صلوات تجلب الإنعاش لأمريكا (موقع على الإنترنت عنوانه (pray4Bush.com) وقد قدم بوش بنفسه ادعاءات تنذر بالخطر: (موقع على الإنترنت (Oklahoma Atheists, Online, 2001).

> وعندما سأل بوش عن معتقداته الشخصية، أجاب: "الآن لا تفهموني خطأ، يا قوم، سيحترق المسلمون واليهود في النار إلى الأبد وذلك مع كل الذين لا يؤمنون بيسوع، ولا نأبه هنا بالمقولة العالمية عن قلب الأم الدامي". واستمر قائلاً: "لقد قلت هذا للصحافة سابقاً، وما زلت أومن بهذه الكلمات" وكان يشير إلى مقابلة مع صحيفة هيوستن بوست في شهر اكتوبر من عام ١٩٩٤. "وأخص بالذكر الملحدين، فقد علمني والدي أن الملحدين يجب أن لا يعتبروا وطنيين أو حتى مواطنيين".

لقد وضعت صحيفة نيو انترناشيونالست (New Internationalist 2002: 29) الأمر كالتالي: "لم يكن اليمين المسيحي أقرب للسلطة كما هو اليوم تحت حكم الملوح بالإنجيل جورج و. بوش. وضمن هذه المجموعة المخلصة التي خاف الله يجلس جون آشكرفت (John Ashcroft) أقربهم إلى العرش" وما يثير القلق فيما يتعلق بنائب عام يحمل آراء مسيحية متطرفة ليس برنامج عمله السياسي المحافظ فحسب، والذي يشمل مواقف" ضد الضرائب، وضد الإجهاض، وضد التمويل لمكافحة مرض فقدان المناعة (الإيدز)، وضد حقوق الشواذ جنسيا، وضد تمويل الفنون العامة. وفي الواقع فإن هؤلاء "ضد" كل شيء تقريباً إلا تلك المقولات القديمة المتعلقة بمسائل حب الجار المسيحية مثل عقوبة الإعدام وحرية حمل السلاح". وعلى درجة أكبر من الأهمية في الصورة الأشمل يقع الاعتقاد بأن أشياء مثل "الحريات الأمريكية" قد أعطاها الرب ولم تكن علمانية أو هيئات قانونية (وبشكل خاص دستور الولايات المتحدة). والنقطة التي نريد أن نوضحها هنا أن هناك اعتقاداً أساسياً بأن جميع الاشياء العادية تصدر عن الرب وعليه فإنها لا تخضع للسؤال. وعندما يُربط هذا الاعتقاد بمشروع تدريس اللغة الإنجليزية، فإن هذا الاعتقاد غير الخاضع للسؤال، أي الاعتقاد بالأحوال التي تعتبر من أعطيات الرب وما صاحبه من برنامج عمل محافظ جداً هو الذي يشكل تهديداً خطيراً للعالم.

وما يهمنا هنا ليس مجرد إعادة للمشكلات المعروفة لقوة اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة – ترويج نظرية الخلق، واللامساواة والخوف من الشذوذ الجنسي والتسلط العسكري، وكذلك إنكار أهمية التطور، والنفع العام، والنشاط الفكري أو الحق لأن تكون مختلفاً. ما يهمنا هنا هو أن نلفت الانتباه إلى الارتباط القوي بين النشاط المسيحي التبشيري واليمين وتدريس اللغة الإنجليزية. وحسب ما يورد لاينش (Lienesch 1993: 23)" فإنه في قلب التفكير المسيحي المحافظ يقع مفهوم تحويل الناس عن دينهم إلى المسيحية، هذا الفعل الإيماني العامر بالسماح والذي من خلاله يخرج المخطئون من خطيئاتهم إلى حالة من الخلاص الدائم". ما نريد قوله هنا أنه من خلال هذا الجناح من تدريس

اللغة الإنجليزية المسيحي الإنجيلي تُقدم تبريرات مقدسة لتحويل الناس عن دينهم، وللرأسمالية وللمحافظة. يحتفي المبشرون برؤيا خاصة للعولمة وللقيم التحررية الجديدة وللتراكم الرأسمالي بجزؤ من رسالتهم التبشيرية. وباستخدامهم تدريس اللغة الإنجليزية غطاء لأنشطتهم، وبالترويج لزمرة محددة من الاعتقادات عن العالم وكذلك بتركيزهم بشكل خاص على الإسلام والمناطق الشيوعية (سابقاً) من العالم، فربما يقوم هؤلاء السفراء للرأسمال العالمي والسياسة التحررية الجديدة بتوجيه مزيد من الضرر من خلال آرائهم السياسية – أكثر مما يدعى برسالتهم المسيحية. إن لهذه المنظومة المكونة من اللغة الإنجليزية والمسيحية والليبرالية الجديدة والثروة أهدافاً ضمنية ماكرة.

الإنجليزية كخدمة مسيحية

لقد حاولنا إلى الآن أن نوضح مدى الانتشار العالمي لتدريس اللغة الإنجليزية للتبشير، وحاولنا أن نبين بعض الروابط العميقة الباعثة على المشكلات بين الأنشطة التبشيرية الإنجيلية من جهة وبين بعض أشكال السياسة من جهة أخرى. وكما بينا في المقدمة، هناك منحى آخر يركز على مفهوم "الخدمة المسيحية". يُنهي سنو (Snow 2001) في كتابه بعنوان (English Teaching as Christian Mission) "تدريس اللغة الإنجليزية كرسالة مسيحية" بأن هناك طريقتين للتعامل مع تدريس اللغة الإنجليزية للتبشير (يفضل سنو تعبير مدرسو الإنجليزية المسيحيون) أولهما منحى الإنجيليين المحافظين والذي يتوسطه الهدف الرئيسي الذي يتمثل بتحويل غير المؤمنين إلى الديانة المسيحية. وهذا هو تدريس اللغة الإنجليزية لأغراض التبشير ويعتمد نجاحه على عدد الذين تم تحويلهم لا على بنية الجملة التي تُدَّرس. وكما يبين سنو (Snow) فإن هذا الجناح الإنجيلي لتدريس الإنجليزية للتبشير يخاطر بالمهنة وذلك بوجود فجوة واسعة بين أهدافه المعلنة وأهدافه الحقيقية أي بين تدريس اللغة الإنجليزية هدفاً معلناً والعمل التبشيري كهدف حقيقي. وعندما تكبر الفجوة بين الأهداف المعلنة وبرنامج العمل المسيحي الذي يتابعه المعلمون المسيحيون للغة الإنجليزية يصبح حينها موضوع الأمانة العلمية والكرامة المهنية مثار جدل. في الجانب الآخر هناك طريقة أكثر ليبرالية يمكن تسميتها بطريقة "الخدمة المسيحية" للتعامل مع العمل التبشيري: تنظر هذه الطريقة إلى تدريس اللغة الإنجليزية كعمل تبشيري بحد ذاته. وهنا يكون تدريس الإنجليزية كهدف تبشيري, ويقاس النجاح هنا بمقياس الخدمة وبنية الجملة لا بعدد الأرواح (عدد الذين تم تحويل دينهم) أو على الأقل، فإنه كبقية العمل التبشيري يهدف إلى تخليص الأرواح وأن يروج للتدريس الجيد للغة الإنجليزية كوسيلة لذلك الغرض لا مجرد استخدام الإنجليزية وسيلة للنجاح.

يبين سنو (Snow 2000) بأن المعلمين المسيحيين للغة الإنجليزية (CET) يستطيعون أن يُروا حبهم للرب من خلال عملهم كمدرسين وذلك من خلال إبراز استعدادهم لتعلم لغات وحضارات أخرى (التعليم كشاهد) وبتدريسهم الجيد وعيشهم كمسيحيين جيدين (التدريس شاهداً) وبمساعدتهم للطلبة وعملهم بحنو من خلال تدريس الإنجليزية لمساعدة الناس سد حاجاتهم (التدريس خدمة) ويستنتج سنو (Snow 2001: 176-7):

> "إن تدريس اللغة الإنجليزية بالنسبة للمسيحيين في الحملات التبشيرية، يمكن أن يكون، بل يجب أن يكون أكثر من فرصة لاكتساب مدخل لأمم منغلقة وذلك للأغراض التبشيرية أو شكلاً من أشكال العمل الاجتماعي يقوم به المسيحيون جزافاً. يمكن لتدريس اللغة الإنجليزية أن يكون فرصة لحمل الشهادة على المعتقد المسيحي، وللتبشير بالإنجيل، ولخدمة المحرومين، والإسهام من أجل السلام بين الشعوب والحضارات المختلفة، وحتى لبناء علاقات أفضل بين الفروع المختلفة للكنيسة بشكل عام. وعند النظر إلى الأمور بهذا الشكل، فيمكن أن يكون تدريس اللغة الإنجليزية أكثر من عمل علماني يعمل وسيلة لأغراض أخرى – يصبح تدريس اللغة الإنجليزية بعينه شكلاً من الرسالة المسيحية (العمل التبشيري).

يختلف هذا الخط من التفكير وعلى مستويات عدة عن النسخة الإنجيلية التبشيرية لتدريس الإنجليزية لغة التبشير: فهي أولاً تضع كل تأكيد على البواح. وعليه فإنه في ضوء المشكلة التي تتلخص ب "كلما ازداد خداع مدرسي اللغة الإنجليزية المسيحيين للآخرين وذلك فيما يتعلق بنواياهم الحقيقية في قبول وظائفهم، كلما تعرضت كرامتهم للشبهة ولُطخت رغبتهم في الأمجاد التي يطمحون إليها بنشر كلمة الرب" (Snow 2000, 71). ويمضي سنو (Snow 2001: 81) قائلاً: "باستطاعة معلمي اللغة الإنجليزية المسيحيين، بل عليهم أن يكونوا منفتحين ومباشرين بالمسائل المتعلقة بعقيدتهم في الصفوف كلما حانت الفرصة لذلك. أما ثانياً، فإن هذا الخط من التفكير يجعل عملية التدريس نفسها أكثر من مجرد حدث عفوي جانبي للعمل التبشيري" فإن جودة عمل مدرسي الإنجليزية المسيحيين الأداة الرئيسية التي من خلالها يتقاسمون حب الرب مع طلبتهم، كما أن في ذلك تعبيراً واضحاً وقوياً عما يجب على المسيحي أن يكون. ثالثاً،

إنه يقول أن إعطاء الفقراء والمحرومين مدخلاً أفضل للإنجليزية يجب أن يكون جزءاً بالغ الأهمية من العمل التبشيري: "فتدريس الإنجليزية خدمة يمكن أن يكون لها تأثير بالغ الأهمية على قدرة الناس على الاستجابة لحاجاتهم المحسوسة، وفي هذا السياق يمكن اعتبار الإنجليزية بل يجب اعتبارها على أنها "كهنوت الحنو والإشفاق" (Snow 2000:65). وبالإضافة إلى ذلك فإنه يجب توجيه هذا إلى البلدان الفقيرة وبخاصة إلى أولئك المحرومين من حقوقهم الشرعية في تلك البلدان: وإذا أراد المسيحيون الغربيون أن يعكس التأثير الكلي لخدمة بعثاتهم التبشيرية النموذج الذي قدمته كهنوتية يسوع فيجب أن تكون خدمة الفقراء أبرز جزؤ من الجهد بعامته (Snow 2001: 108).

لقد حاول سكوفل (In Snow 2001: 12) تلخيص هذا الموقف في مقدمته لكتاب سنو: "إن تدريس اللغة الإنجليزية إسهام حيوي نقدمه لطلبتنا وهو رسالة تبشيرية ملموسة أينما وجدنا، لكننا كمدرسين مسيحيين للغة الإنجليزية ندرس أكثر من اللغة وفي عملنا هذا تكون لنا الفرصة أن نعلم معتقدنا" ورغم أن التمييز الذي قدمه سنو مفيداً، إذ أن الالتزام الواضح بالتدريس الجيد من جهة وبشكل من أشكال التربية التحررية الموجه نحو المحرومين من حقوقهم تبدو مفضلة أخلاقياً على الموقف الانجيلي التبشيري، فإن هناك أساس للحذر هنا. فبينما يبدو أن الموقف التبشيري الانجيلي يعكس موقف انتصار الانتشار العالمي للانجليزية (يُرى الانتشار وكأنه مثل الديمقراطية والمسيحية ورأس المال... يُحتفى بها) فإن اهتمامها الحقيقي بالانجليزية هو لاستخدامها أداة لزيادة عدد المحولين عن دينهم إلى المسيحية. وليس من المدهش هنا اننا لم نجد في كل المواد التي راجعناها من يطرح أي تساؤل عن الطلب المتصاعد على اللغة الإنجليزية. بل على العكس، فإن الانتشار العالمي للغة الإنجليزية يؤخذ بداهة ويدعو هذا الموقف إلى كسب ثقة الطلبة. وحسب المعلومات الواردة عن برنامج تدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها في جامعة أزوسا باسيفيك (Azusa Pacific University)،

> "تعتبر اللغة الإنجليزية أكثر اللغات تدريساً في ماية دولة وتتمتع بصفة رسمية في سبعين دولة وهذا يزيد الطلب على مدرسي اللغة الإنجليزية. وعندما أدرك تجمع الكليات المسيحية (Christian College Consortium) أهمية تزويد مزدوجي المهنة من المبشريين العاملين في الخارج بمؤهلات لتدريس اللغة الإنجليزية للاستجابة لمثل هذا الطلب، وجدوا أن جامعة أزوسا باسيفيك (APU) مكاناً مثالياً منها يبدأون
> (Azusa Pacific University; .http://www.apu.edu./infocus/2001/01/tesol)

ومن وجهة نظر الخدمة المسيحية (المشار إليه سابقاً) فإنه على النقيض، يرى تدريس اللغة الإنجليزية بأنه استجابة لحاجات اولئك الذين يدرسون، ولكن وكما يعترف سنو، ان تحسين المهارات في اللغة يخدم أحياناً بمثابة بطاقة تمكن الأفراد من الهروب من صعوبات أوضاعهم الاجتماعية، لا كأداة يمكن لهم بها تحسين أوضاع جماعاتهم (Snow 2001: 118). وفي عالم أصبح فيه الوصول إلى اللغة الإنجليزية ومعرفتها أحد أهم عناصر توزيع رأس المال الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، أصبح من الصعب الاستمرار بمقولة أن تدريس اللغة الإنجليزية مماثل لأشكال أخرى من الخدمة. فبينما تثير أشكال من الأعمال الخيرية والعمل التطوعي كثيراً من المشكلات (تدعم أحوالاً اجتماعية بعيدة عن التكافؤ، وتسمح للسلطات أن تتجاهل وتهمل الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والبيئية) يصبح الحجاج لتدعيم فكرة أن تدريس اللغة الإنجليزية نوعاً من الخدمة المسيحية ضربٌ من الترويج إلى دور للإنجليزية يمكن أن يكون هداما.

ربما يوحي هذا الرأي بأن النفاذ إلى الإنجليزية وتعلمها يمكن أن يكونا حلاً لمختلف أنواع اللامساواة عالمياً. هذه ليست الحال بالتأكيد. إذ أن الفوائد أو المضار الممكنة أن تنتج عن تدريس الإنجليزية يجب أن تفهم من خلال السياق. يقول بروثياكس (Bruthiaux2002 : 292-3).
وللفقراء جداً في بلدان عدة، يبقى التعليم في أساسه أملاً كاذباً ويبقى تعلم اللغة الإنجليزية يمثل بعداً شديداً عن أرض الواقع، بل لا علاقة له بالموضوع. وكما يقال، في عالم نصف سكانه لم يقم بمكالمة تلفونية واحدة، فإن الحديث عن دور اللغة الإنجليزية في خفض الفقر وبالتالي تخصيص موارد لهذه الغاية من المرجح أن يثبت زيفه.

وحالما يصبح تدريس اللغة الإنجليزية قائماً بنفسه كشكل من أشكال الخدمة المسيحية، يصبح من السهل ترويجه ليوجه بحماس التبشير والمبشرين لا ليوجه بالحاجات التربوية. وهذا يحول تدريس اللغة الإنجليزية إلى نشاط مقدس بعينه. وبالفعل فإن إيرل ستيفيك (Earl Stevick) الذي وصفه سكوفل (Scoel) كما اقتبسه تنانت (Tennant 2002) بأنه "موسى هذا الميدان" – يقول بأن تدريس اللغة الإنجليزية "مشي على أرض مقدسة"، وعندما تعود لإحدى الأسئلة

الشائكة حول الوكالات والأيديولوجيات ذات العلاقة بانتشار اللغة الإنجليزية، (لماذا تنتشر الإنجليزية؟ وأي رسالة تحمل؟) فإننا نجد جواباً محدداً بمثل هذا السؤال: بينما يوجد طلب على اللغة الإنجليزية في أمكنة كثيرة، فإن لدى معلمي اللغة الإنجليزية للتبشير مصلحة في الاستمرار في هذا الطلب وزيادته وكذلك في استخدامه للترويج إلى زمرة من المعتقدات.

تحتوي فكرة الخدمة المسيحية في جوهرها على جانب مخادع وماكر، إذ بينما تسلط الأضواء على الخلاص الاجتماعي من خلال تدريس اللغة الإنجليزية، فإن الأمل الخفي يبقى متجسداً بفكرة أن الخلاص الروحي يتم من خلال المسيحية. وبينما يمكن أن يعتمد جزء من هذا الحوار على الخلاص الشخصي للمدرسين المبشرين أنفسهم – بتدريس الإنجليزية، يحجز الواحد منهم لنفسه مكاناً في الجنة – يبقى المشروع بكليته مشروعاً تبشيرياً. ورغم الكلام هنا عن السلام والتفاهم بين الحضارات وقبول الخلافات، والإدلاء بالشهادات، والخدمة والتبشير، يبقى تدريس اللغة الإنجليزية كرسالة مسيحية مشروعاً مكرساً للترويج (المشاركة) لمجموعة معينة من الأيديولوجيات والمعتقدات المرتكزة بشكل افتراضي على مقاييس خارجية (الرب، الإنجيل، ... الخ) والتي تعطيها شرعية. وبينما يوحي الموقف الخدمي بأن على جميع مدرسي اللغة الإنجليزية المسيحيين أن يكونوا منفتحين، يبقى هذا الموقف في جوهره استمراراً في الاتجاهات الاستعمارية في النظرة إلى "الآخر" غير المؤمن. لنتحول الآن إلى نقاش أفكار البوح والأخلاق في تدريس اللغة الإنجليزية لغة تبشيرية.

أخلاق من عنها نتحدث؟

لقد تحدثنا ما فيه الكفاية عن وجهة النظر المسيحية الانجيلية التبشيرية والمسيحية الخدمية واتصالهما بتكوينات أيديولوجية معينة، وعنايتهما بقضية البوح وكذلك استخدام اللغة الإنجليزية أداة لكسب مدخل لغير المسيحيين، واهتمامهما العميق في الترويج لانتشار اللغة الإنجليزية كوسيلة أو كهدف لعملهما. وعلى هذه الأسس وحدها فإن هناك أسباباً جيدة لمقاومة الكثير من أنشطة تدريس اللغة الإنجليزية لغة للتبشير. ولكن السؤال هنا هو: كيف نبني حجة أخلاقية لمحتوى مفضل لتدريس اللغة الإنجليزية؟ هذا ما سنحاول أن نقوم به في الجزء الأخير من هذه المقالة، وقبل ذلك، دعنا نبين لماذا يتوجب علينا أن نفعل ذلك، وهو نقاش سنتناول فيه موقفين بديلين أولاهما الموقف الليبرالي اللا أدري والثاني هو الموقف العلماني الإنساني. لقد حاول أج (Edge) أن يبين كما أوضحنا في المقدمة، منطلقاً من الموقف الثاني، أن تدريس الانجليزية ينشط من خلال برنامج عمل مخفي، فهو بالتالي "بغيض وكريه تماماً". وقد رد إيرل ستيفيك (Stevick 1986/97) على إج (Edge) بضرورة التمييز بين تصدير الأفكار بطريقة "تجبر أو تضغط على الناس لقبولها" من جهة، وعرض الأفكار الجديدة كأفكار "جذابة ومتوفرة في سوق حرة" من جهة أخرى. وبينما تعتبر الأولى غير مقبولة لـ ستيفيك (Stevick) فإن "لا شيء ضار في الثانية".

لكن هذه المناقشة ماكرة بالتأكيد. فإن العمل التبشيري يتطفل على الضعاف مستخدماً اللغة الإنجليزية ليجد مدخلاً إلى أولئك غير الحصينين من غير المسيحيين: "يقول دنت (Dennett 1992: 91) ان تدريس اللغة الإنجليزية للمهاجرين يشكل فرصة رائعة للعمل الكهنوتي. فالمسيحيون في الصفوف التي تقدمها الخدمة التعليمية للمهاجرين الكبار (Adult Migrant Education Service. AMES) في استراليا يمكن أن يطلبوا أن يوزعوا على العائلات المسلمة، فمعظم النساء المهاجرات يقضين يومهن لوحدهن في البيوت واتصالهن في الخارج قليل، وليس هناك من طريقة لتعلم لغة بلدهن الجديد. وهذا يعطي النساء المسيحيات ومن أي فئة عمرية وسيلة للتقرب من هؤلاء النساء المحتاجات وبالتالي مشاركتهن في كلام الرب". وهذا العمل التبشيري غير محصور أبداً بأولئك الذين يمكن أن تراهم قادرين على تقويم الأفكار في سوق حرة. فبناء على تقرير لمبشرين عادوا حديثاً من الصين ويودون العودة إلى هناك في الحال: "سندرس اللغة الإنجليزية للطلبة الصينيين الذين تتراوح أعمارهم من ١٠-١٨ ولمدة ستة أسابيع في شهري يوليو وأوغسطس". وفي زيارتهم الأخيرة، يخبرنا هؤلاء المبشرون أن "ما ينوف على ثلاثماية وخمسون طالباً قد سمعوا كلمة الرب" وأن مدير المدرسة قد أعجب بإخلاصهم بالرغم من أنه كما يقول، "لا أفهم ما كانوا يتحدثون عنه لكنني علمت أنه شيء عميق وخاص جداً (Missionary Testimoury on Mission")"(Finderog أنه بالتأكيد شيء أن تستخدم تدريس اللغة الإنجليزية مع الكبار كوسيلة لنشر المسيحية، وشيء آخر مختلف أن تستخدمها مع الأطفال. ومن الجدير بالملاحظة ايضاً كيف يمكن لاستخدام الإنجليزية أن يخفى طبيعة هذا النشاط عن السلطات المختصة. وليس من الواضح، إذن، فيما

إذا كان التمييز بين ممارسة الضغط على الناس أو توفير الأفكار لهم في سوق حرة في أي صورة من الصور قابل للبقاء خاصة في سياق تدريس اللغة الإنجليزية.

أمّا رد ستيفيك (Stevick 1996/97) إذن فهو غير مقنع. فبينما يحاور دفاعاً عن حق ترويج المسيحية، فإنه يستلهم قناعاته من أيديولوجية ليبرالية من السوق الحرة حيث الناس حُرين للخيار من بين أفكار متعددة. وعلى الأقل فإننا نحتاج لأن نستكشف مسائل الإكراه ومسائل المنهاج لا أن يستمر في التمييز بين الإجبار من جهة والسوق الحرة من الجهة الأخرى. أمّا موقف إج (Edge, 1996) في الجهة الأخرى، وبالإشارة إلى عدد من المسائل التي بحثناها سالفاً وخاصة ما يتعلق منها بنقص البوح والقاعدة الأيديولوجية للعمل التبشيري الإنجيلي، فإن هذا الموقف يتركز على حقوق الطلبة للحصول على التعليم الذي سجلوا له. إن هذا نقاش ذو أهمية، لكنه يثير مسائل ذات اهتمام وخاصة فيما يتعلق بتبرير المشاريع التربوية النقدية. وكما يقول أورباخ (Auerbach 1995)": رغم أن الكثير من الخيارات التعليمية عن تطوير المنهاج والمحتوى والمواد والعمليات الصفية والاستخدام اللغوي تبدو وكأنها ناتجة عن اعتبارات مهنية غير سياسية، إلا أنها في واقع الحال وفي تركيبها الداخلي أيديولوجية بطبيعتها" (Auerback 1995: 9). ومن منظور نقدي فإن التدريس لم يكن يوماً من الأيام محايداً أيديولوجيا. وبما أن قوة الاقناع الأيديولوجي في التربية يتوجه بشكل عام إلى المواقف الليبرالية – المحافظة فإن التربويين النقديين (مناصري المرأة، والمناهضين للعنصرية وما إليهم) يرون أنفسهم بأنهم مبررين في ترويج برنامج عملهم النقدي. أمّا السؤال الأساسي هنا فهو: إذ كان كل من التربويين النقديين والتربويين المسيحيين يعززون أشكالاً من البداجوجية التحويلية، فعلى أي أسس نستطيع التمييز بين المشاريع التربوية النقدية الموجهة نحو أشكال من التغير الاجتماعي وبين المشروع المسيحي التبشيري الموجهة نحو تحويل الناس عن دينهم؟

إن هذا التحدي يثار دائماً في مواجهة الداعين إلى التوجهات النقدية (معرفة القراءة والكتابة النقدية، البداجوجية النقدية... الخ) في التربية: إذا كان الواحد مهيئاً لتدعيم حق متابعة برنامج عمل سياسي في التربية، فهل يستوجب هذا بالضرورة شمول الحق لمتابعة جميع برامج العمل؟ وعليه، فإننا إذا تحاشينا النظر إلى التربية على أنها نشاط محايد فكيف نستطيع تبرير بعض أشكال النشاط السياسي ضمن تدريس اللغة الإنجليزية وندين أخرى؟ وفي نقاشه للخط المحايد الليبرالي، يعبر هنري وديسون (Henry Widdowson 2001: 15) عن هذه المسألة ذات الاهتمام وذلك عند تناوله التوجهات النقدية للتربية وبالشكل التالي:

> "أخلاق من عنها نتحدث؟ سلوكيات من؟ وكيف تعرف القضية ذات القيمة من القضية التي لا قيمة لها؟ يبدو أن الناس الناقدون مثل المبشرين واثقون من أنهم قد استطاعوا تعريف ما ينفع الناس الآخرين وذلك بناء على ما يؤمنون به هم أنفسهم. ولكن عندما نعمل فضيلة من فكرة "ضرورة التحيز" فإننا في واقع الحال ننكر التعددية ونفرض روايتنا للحقيقة، وبذلك نمارس قوة السلطة التي نزعم أننا نكرهها".

هل أن ودوسون (Widdowson) محق بأن القراءة النقدية والبداغوجية النقدية لا تتميز عن النشاط التبشيري وذلك بفضل تأكيدهما على التحيز وتفضيله على التعددية؟ هل يصبح هذا مسألة تفضيل شخصي أو سياسي، أم أن هناك طرقاً نستطيع فيها أن نبني حواراً يجيز بعض أشكال البداغوجيا السياسية وتفضيلها على غيرها. هذا تحدي سنأخذه في نهاية هذا البحث.

النتائج: نحو أخلاقيات موضوعة لتدريس اللغة الإنجليزية

تقودنا هذه الأسئلة إذن إلى مواجهة أسئلة أساسية عن الممارسات الأخلاقية وتدريس اللغة الإنجليزية (وبالفعل، كل أشكال التربية). وهناك حقلان رئيسان لها، أولهما، إذا قبلنا بمقولة أن التعليم بكليته سياسي، فعلى أي أسس نستطيع أن نقرر بتفضيل سياسة معينة على غيرها؟ وثانيهما، كيف نستطيع أن نبني ممارسة أخلاقية في تدريس اللغة الإنجليزية؟ إننا نبين هنا بأن هيمنة تدريس اللغة الإنجليزية كلغة تبشير تجبرنا أن نواجه أسئلة أخلاقية لها علاقة بالمستقبل والبداغوجيا المفضلين. ان لحقلي اللغويات التطبيقية وتدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها قواعد محدودة لمتابعة مثل هذه القضايا. وهذه مقصورة جداً على الحوار الهادف إلى تحسين الممارسة (زيادة الثبات في الاختبارات اللغوية على سبيل المثال) لا على متابعة تساؤلات عن الخط الأعرض لأخلاقيات ما نحن مشتغلون به. وفي محاولة جي (Gee 1993: 292) لملئ هذه الفجوة، فقد حاول أن يبين أن علينا أن نواجه مبدأين لهما علاقة بالمفاهيم يخدمان كقاعدة للخطاب

الأخلاقي الإنساني (الحديث والتفاعل): إن هناك شيئاً يؤذي شخصاً آخر... لهو سبب جيد (وربما ليس السبب كافٍ) بأن لا تفعله. كذلك فإن على الفرد التزاماً أخلاقياً وهو التفسير والتوضيح... لأي ممارسة اجتماعية يعتقد بأنها تعطي هامشاً للفائدة لواحد أكثر من الآخر أو لمجموعة أكثر من الأخرى. وفي حالة مشابهة يبين كورسون (Corson 1997) ثلاثة مبادئ أخلاقية رئيسية تستنبط من الفلسفة السلوكية وهي: مبدأ احترام الأشخاص (قارن بالمبدأ الأول لـ Gee) ومبدأ التعامل بالمساواة (قارن المبدأ الثاني لـ Gee) ومبدأ الحد الأقصى للفائدة (وهناك شأن نفعي يتماشى مع نتائج الأفعال وتبعاتها).

هذه الاعتبارات الأخلاقية لا تفيد إلا إلى حد معين، وفي النهاية علينا أن نضع هذه الأفكار المجردة في محاور أخلاقية. وسنقترح في هذا المقام أربعة محاور لبعض الأشكال المعينة من الانشغال البداغوجي والسياسي التي تنعكس على ممارسات تدريس اللغة الإنجليزية لغة للتبشير. تتعلق هذه المحاور مع مسائل الثقة والبواح، واحترام الآخرين والسياقات السياسية والخيارات الأخلاقية. أولاً، يبدو أن من الضرورة بمكان العودة إلى مسائل الإخفاء والثقة. إن كانت الروح أو الهدف الأساسي من بداجوجية الفرد مخفي، وكان الفرد يدرّس لكسب مدخل إلى الطلبة، فإن هناك مسألة ذات اهمية وهي مسألة الشأن الأخلاقي للثقة. أما الأشكال الأخرى من البداغوجية السياسية فهناك عبء على الأمر الأخلاقي للبواح. على التربويين النقديين أن يتبينوا أخلاقيات البواح حتى يميزوا أنفسهم عن معلمي الإنجليزية للأغراض التبشيرية. ثانياً، تتعلق النقطة الثانية بالاحترام. وأي طريقة جيدة ناقدة لمباشرة تدريس اللغة الإنجليزية يجب أن تبدأ من موقف احترام وانشغال بحضارة الطلبة وأفكارهم. لهذا السبب كان مفهوم الصوت مركزياً في بعض صيغ البداغوجيا النقدية ولهذا السبب أكد أووربا خ (Auerbach 1995) على البحث العلمي الذي يطلب المشاركة: النقطة هنا هي أننا لا نريد أن نقنع الطلبة أنهم مخطئون، بل أن نجد طرقاً تجلبهم إلى إنشغال نقدي بالطرق التي تبني بها حياتهم. هنا أيضاً نجد درساً مهماً لكل منحى تربوي نقدي: حتى يتمكن من تمييز نفسه في عبارات أخلاقية بداغوجية من البداغوجيا التبشيرية فإنه يحتاج لأن ينظر في طرق انشغاله بحدية تامة.

ثالثاً، من وجهة النظر السياسية، هناك عدة أسباب هامة تدعو إلى تفصيل البداغوجيا النقدية على البداغوجيا التبشيرية. وكما بيّن في أمكنة أخرى (طالع Pennycook 2001) فإن أخذ المناحي النقدية نحو تدريس اللغة الإنجليزية سيرى اختلافاً واضحاً عن حقول كالتفكير النقدي الذي يزعم دائماً أنه حيادي سياسياً. إن التدريس النقدي للغة الإنجليزية (وكلك الحقول الأخرى من اللغويات التطبيقية النقدية) ملتزم بشكل معين من السياسة. وهناك بالتأكيد مجال واسع للتشعب في هذا العمل، لكننا سنبين بأنه ملتزم بثلاث مسائل ذات اهتمام: مسائل التفاوت والتباين، ومسائل الاختلاف ومسائل الرغبة. الأول ذو علاقة بالمداخل والمضار: كيف تفهم وتتغلب على عدم المساواة في حرية الوصول؟ أمّا الثاني فهو ذو علاقة بالتضمين والاحتواء: كيف تضمن وتحتوي في حين تنشغل بأشكال أخرى للاختلاف الاجتماعي والثقافي. أمّا الثالث فله علاقة بالتغيير: كيف يمكن أن نبتدع إمكانات لمستقبل له متغيرات. من الواضح أنه يمكن لنا الآن أن ننشغل ببداغوجيات مسحية (أو مبنية على دين) والتي تتعامل بمثل هذه الاهتمامات – ويقصد هنا خليط باولو فريير (Paulo Freire) وهو خليط من الماركسية والإنسانية، والمسيحية وهو مثال واضح. ولكن عندما تصبح الرسالة نشر المسيحية نفسها، وبشكل خاص، عندما تصبح الرسالة مندمجة ومركبة مع جناح سياسي يميني فإننا عندئذ نتعامل مع موضوع مهيأ للنقيض من التباين، والاختلاف والرغبة: الامتثال والمحافظة والإكراه.

حتى وإن كانت الافضلية السياسية لمسائل التباين واالاختلاف والرغبة صعبة التأسيس في التجريد فوق الامتثال والمحافظة والإكراه، فإنه يمكن أن تأسس في السياق السياسي الجاري. نعيش الآن في أوقات صعبة، فلم تعد الاستبدادية الشيوعية تعمل من أجل توازن للاستبدادية النيوليبرالية (الليبرالية الجديدة). وان الأحداث الجديدة – خاصة تدمير المركز التجاري العالمي في ١١ سبتمبر ٢٠٠١- قد صعدت نزاعاً منظوراً بين المسيحية والإسلام لدرجة أن الحرب ضد الإرهاب" التي تقودها الولايات المتحدة كانت وما زالت في الغالب تبدو وكأنها حرب ضد الإسلام. وكان إعلان جورج بوش المبكر عن "حرب صليبية" يدل على هذا الاتجاه. وكما أشرنا سابقاً، في حين أن تدريس اللغة الإنجليزية لغة للتبشير عالمي في أهدافه، فإن التركيز الحالي للعمل التبشيري هو على "غير المؤمنين" من المجتمعات الإسلامية والشيوعية. وفي ضوء هذا المناخ الحالي، وفي ضوء الدور الحالي الذي تلعبه اللغة الإنجليزية فيما يتعلق بمختلف أشكال العولمة، فإننا نود أن نبين أن استخدام اللغة الإنجليزية كمحاولة لتحويل المسلمين ومجتمعات البلدان الشيوعية عن دينهم، وعمل ذلك من خلال إطار أخلاقي سياسي يعزز الليبرالية الجديدة والرأسمالية العالمية، عمل لا يمكن تبريره سياسياً.

وأخيراً نود أن نبين أن المشروع الأخلاقي والسلوكي خاصة للغة الإنجليزية للتبشير في الغالب تنقصه الأخلاقيات الكافية. فبينما يفترض بالتفكير الديني أن يشجع الانشغال بالمسائل الأخلاقية إلا أنه في العادة لا يعمل إلا القليل فوق تعزيزه سلوكيات سابقة مطلقة. وبهذا نعني ان هذا المنحى للفكر والتربية يعمل بموقف سلوكي أخلاقي خادع لا يسمح لأي استجابة أخلاقية. يدعو روجر سايمون (Roger Simon 1992) إلى منظور تربوي "قادر على سرد قصص الإمكانات" لكنه مقيد بخيال أخلاقي ينادي بالتباين والتعددية، والعدالة الرحيمة ويؤمن الظروف اللازمة لتجدد الحياة الإنسانية (ص٣٠). ما ينادي به سايمون (Simon) ليس نظاماً أخلاقياً يتواجد في معزل عن العلاقات الإنسانية ضمن مدونة دينية معروفة مسبقاً، لكنه المطلب الأخلاقي في أن تتخيل غير ذلك (Kearney 1988: 364). ولدرجة أن تدريس اللغة الإنجليزية كلغة للتبشير تعوزه مثل هذه الرؤيا، ولا يشجع إلا سلوكياته المدرسة سابقاً، فإنه يفشل كمشروع أخلاقي. وهذا، ثانية، يثير تحدي جديد للتربويين النقديين: إن عززت أشكال جديدة من البداغوجية النقدية كعقيدة سياسية منكفأة، فإنهم في هذه الحالة لا يمكن تبريرهم أخلاقياً كبقية أشكال تدريس الإنجليزية كلغة للتبشير: إن على المناحي النقدية لتعليم اللغات أن تتعامل بشكل أخلاقي.

لا نرغب في أن نقترح مراقبة عالمية لصفوف تدريس اللغة الإنجليزية –حتى وإن كان هذا ممكناً- ولا نرغب في أن ندعو جميع الصفوف لأن تحاول أن تلتزم الحياد ثقافياً وسياسياً. كذلك فإننا نحاول أن نوحي بان لا تكون حقوق اللغة الإنجليزية أبداً مكانا لبحث أو تقديم وجهات النظر السياسية والأخلاقية. حقاً، فكما أسلفنا، فإن الأمر حتمي، حتمي تماماً. لكننا نريد أن نقول أننا تحتاج إلى أطر للتفكير بالطريقة التي يستخدم بها الآن تدريس اللغة الإنجليزية لتعزيز مواقف معينة. وأننا نشعر بأن على كل أشكال تدريس اللغة الإنجليزية بحماس تبشيري – سواء كانت جزءاً من مشروع تبشيري أم لا – أن تواجه أسئلة صعبة عن دور اللغة الإنجليزية. إن ما يهمنا عن أخلاقيات تدريس اللغة الإنجليزية لغة للتبشير يثير عدداً من الأسئلة تخص البداغوجية النقدية وإزالة الأمية. وإن لم نستطع أن ننشغل في مناظرات وحوار حول هذه الشئون، وأن لم نبدأ في بحث المشاريع السلوكية اللاأخلاقية المرتبطة بتدريس اللغة الإنجليزية، فإننا سنترك إلى يسار نقدي يؤمن بصحة معتقده السياسي، وإلى يمين يؤمن ببرنامج عمل مقدس أعطاه إياه الرب، وإلى وسط كبير متحرر يعتقد خاطئاً بأنه يمكن أن نُبقي كل ذلك خارج غرفة الصف.

شكر وتقدير:

نحن ممتنون ل. جوليان إج (Julian Edge) لمناقشة شيقة مستمرة حول هذه الشئون، وكذلك لـ سنفري ماكوني (Sinfree Makoni) وسهيل كرماني (Sohail Karmani) (طالع www.tesolislamia.org) لمناقشات لاحقة ومواد علمية.

للمراسلة:

- Faculty of Education, University of Technology, City Campus, P.O.Box 123, Broadway, NSW 2007.

البريد الإلكتروني للكاتب

alastair.pennycook@uts.edu.au

البريد الاكتروني للمترجم

murazug@hotmail.com

المصادر:

١. تقتبس قصة شعبية عدداً من المسئولين من جنوب الولايات المتحدة الأميركية كمعارضين للتعليم ثنائي اللغة (الإنجليزية والاسبانية) على أساس أن: "إن كانت اللغة الإنجليزية جيدة مافيه الكفاية ليسوع، فهي جيدة ما فيه الكفاية لي "(وتقتبس أحياناً" جيدة ما فيه الكفاية لأهل تكساس فهي جيدة ما فيه الكفاية لهم – أي المكسيكيين) ومن أكثر المصادر التي يعتمد عليها في هذا الشأن كما يبدو، هو عضو مجلس الشيوخ من تكساس أما ما Ma أو جيمس (James) فيرجسون Furguson في العقود الأولي من القرن الماضي (رغم أن هذه الاقتباسات تعزى أحياناً إلى كاهن في مدينة لتل روك (Little Rock) في ولاية اركنسال (Arkansas) ومصادر أخرى). طالع على سبيل المثال الموقع:
http://www.oustinchronicle.com issues/dispatch/2002-06-14/pols-capitol.html.

٢. كذلك فإن هنا وفي أمكنة أخرى افتراض مربك بأن كلا الأمرين "التدريس الجيد" وتقديم نموذج للتواصل الحضاري، والممارسة الأخلاقية والاهتمام بالآخرين...الخ. كلها امتيازات مسيحية، هناك أشياء أخرى دينية وغير دينية تطمح بالوصول إلى مستوى هذه المثاليات، تاركةً لنا التساؤل المحير فيما إذا كان كل المدرسين الذين يدرسون جيداً وملتزمون بالعمل مع الفقراء - إن كان هؤلاء يقومون بالشهادة أمام الرب- سواء آمنوا بذلك أم لا.

٣. فيما يدافع سنو (Snow 2001) عن دور تدريس اللغة الإنجليزية كخدمة مسيحية للمحرومين فإنه يضمن أيضاً نقاط متعددة تعبر عن الخوف من الانتشار العالمي للغة الإنجليزية.

٤. لقد أُقتبس ستيفيك Stevick على غطاء كتاب سنو (Snow 2001): "تمنيت لو كان هذا الكتاب معنا آنئذ في إن النظرة إلى الوراء لمدة نصف قرن كنت فيها مدرساً مسيحياً للإنجليزية، ومدرباً للآخرين ليصحوا مثلي، فإن معالجة سنو Snow تبدو صحيحة". ومن مدرسي الإنجليزية لغير الناطقين بها الذين كانت لهم علاقة بالأمر توم سكوفل (Tom Scovel) الذي كتب المقدمة.